

تفسير السعدي

@ 397 @ مبین * فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكئا وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش ☐ ما ه ذا بشرا إن ه ذا إلا ملك كريم * قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين * قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين * فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم * ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين) ^ يعني : أن الخبر اشتهر وشاع في البلد ، وتحدث به النسوة ، فجعلن يلمنها ، ويقلن : ^ (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا) ^ أي : هذا أمر مستقبح ، هي امرأة كبيرة القدر ، وزوجها كبير القدر ، ومع هذا ، لم تزل تراود فتاها ، الذي تحت يدها ، وفي خدمتها عن نفسه ، ومع هذا فإن حبه ، بلغ من قلبها ، مبلغا عظيما . ^ (قد شغفها حبا) ^ ، أي : وصل حبه إلى شغاف قلبها ، وهو : باطنه وسويداؤه ، وهذا أعظم ما يكون من الحب ، ^ (إنا لنراها في ضلال مبين) ^ حيث وجدت منها هذه الحالة ، التي لا ينبغي منها ، وهي حالة تحط قدرها ، وتضعه عند الناس . وكان هذا القول منهن مكرًا ، ليس المقصود به مجرد اللوم لها ، والقبح فيها ، وإنما أردن أن يتوصلن بهذا الكلام ، إلى رؤية يوسف ، الذي فتنت به امرأة العزيز ، لتحقق امرأة العزيز ، وتريهن إياه ، ليعذرنها ولهذا سماه : مكرًا ، فقال : ^ (فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن) ^ تدعوهن إلى منزلها للضيافة . ^ (وأعتدت لهن متكئا) ^ أي : محلا مهيا بأنواع الفرش والوسائد ، وما يقصد بذلك من المآكل اللذيذة ، وكان في جملة ما أتت به وأحضرتة ، في تلك الضيافة طعام يحتاج إلى سكين ، إما أترج ، أو غيره ، ^ (وآتت كل واحدة منهن سكينا) ^ ليقطعن بها ذلك الطعام) (وقالت) 2 ! 2 ! (اخرج عليهن) ^ في حالة جماله وبهائه . ^ (فلما رأينه أكبرنه) ^ أي : أعظمته في صدورهن ، ورأين منظرا فائقا ، لم يشاهدن مثله ، ^ (وقطعن) ^ من الدهش ^ (أيديهن) ^ بتلك السكاكين ، اللاتي معهن ، ^ (وقلن : حاش ☐) ^ أي : تنزيها ☐ (ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم) ^ ، وذلك أن يوسف ، أعطي من الجمال الفائق ، والنور ، والبهاء ، ما كان به آية للناظرين ، وعبرة للمتأملين . فلما تقرر عندهن جمال يوسف الطاهر ، وأعجبهن غاية العجب ، وظهر منهن من العذر لامرأة العزيز ، شيء كثير أرادت أن تريهن جماله الباطن ، بالعفة التامة فقالت معلنة لذلك ، ومبينة لحبه الشديد ، غير مبالية ، ولأن اللوم انقطع عنها من النسوة : ^ (فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن

نفسه فاستعصم) ^ أي : امتنع وهي مقيمة على مرادوته ، لم تزدها مرور الأوقات ، إلا قلقا ومحبة وشوقا لوصاله وتوقا . ولهذا قالت له بحضرتهم : ^ (ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) ^ ، لتلجئه بهذا الوعيد إلى حصول مقصودها منه . فعند ذلك ، اعتصم يوسف بربه ، واستعان به على كيدهن . ^ (قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه) ^ وهذا يدل ، أن النسوة ، جعلن يشرن على يوسف في مطاوعة سيدته ، وجعلن يكدنه في ذلك . فاستحب السجن والعذاب الدنيوي ، على لذة حاضرة ، توجب العذاب الشديد . ^ (وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن) ^ أي : أمل إليهن فإني ضعيف عاجز ، إن لم تدفع عني السوء ، صبت إليهن ^ (وأكن من الجاهلين) ^ فإن هذا جهل ، لأنه أثر لذة قليلة منغصة ، على لذات متتابعات ، وشهوات متنوعات ، في جنات النعيم . ومن أثر هذا ، على هذا ، فمن أجهل منه ؟ فإن العلم والعقل ، يدعو إلى تقديم أعظم المصلحتين ، وأعظم اللذتين ، ويؤثر ، ما كان محمود العاقبة . ^ (فاستجاب له ربه) ^ حين دعاه ^ (فصرف عنه كيدهن) ^ فلم تزل تراوده وتستعين عليه ، بما تقدر عليه من الوسائل ، حتى آيسها ، وصرف الـ عنه كيدها ، ^ (إنه هو السميع) ^ لدعاء الداعي ^ (العليم) ^ بنيته الصالحة ، وبنيته الضعيفة المقتضية لإمداده بمعونته ولطفه . فهذا ما نجى الـ به يوسف من هذه الفتنة الملمة ، والمحنة الشديدة ، وأما أسياده ، فإنه لما اشتهر الخبر وبان ، وصار الناس فيها ، بين عاذر ، ولائم ، وقادح . ^ (بدا لهم) ^ أي : ظهر لهم ^ (من بعد ما رأوا الآيات) ^ الدالة على براءته ، ^ (ليسجننه حتى حين) ^ أي : لينقطع بذلك ، الخبر ، ويتناساه الناس ، فإن الشيء إذا شاع ، لم يزل يذكر ، ويشيع ، مع وجود أسبابه ، فإذا عدمت أسبابه نسي . فرأوا أن هذا مصلحة لهم ، فأدخلوه في السجن . ^ (ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين * قال لا يأتكما طعام ترزقانه إلا نبأكما بتأويله قبل أن يأتكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالـ وهم بالآخرة هم كافرون *) واتبعت ملة آباءي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالـ من شيء ذلك من فضل الـ علينا وعلى الناس ول كن أكثر الناس لا يشكرون * يصاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الـ الواحد القهار * ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآبأؤكم ما أنزل الـ بها من سلطان إن الحكم إلا الـ أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ول كن أكثر الناس لا يعلمون) ^ أي ^ (و) ^ لما دخل يوسف السجن ، كان من جملة من ^ (دخل معه السجن فتيان) ^ أي : شابان ، فرأى كل واحد منهما رؤيا ، فقصها على يوسف ليعبرها . ^ (قال أحدهما : إني أراني أعصر خمرا ، وقال الآخر : إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا) ^ وذلك الخبز ^ (تأكل الطير منه) ^ ،

